مراجعات

ذكرنا بروعة «المتشائل» ثم ابحر مبتعداً إلى مطارح الغربة!

اميل حبيبي، لكع بن لكع، م.ت.ف.، دائرة الاعلام والثقافة، ١٩٨٠، ١٥٨ صفحة

حين قرأت «سعيد ابو النحس المتشائل» لاميل حبيبي قبل سنوات كتبت: «احس وكأنني احتفل بعيد ميلاد حقيقي، ميلاد كاتب كبير...»

من هذه الكلمات، التي ما زلت أحتفظ بصورة عنها في الذاكرة، أحاول اليوم، أن أنطرق إلى «لكع بن لكع» ولي كل الحق، كما أظن، أن أسترسل في الحديث، وأن «أغرّب وأشرّق» على هواي، طالما أنني اعترفت، وقبل سنوات، بميلاد كاتب كبير داخل جدران الوطن المحتل.

لحين تكرس كاتباً على انه كبير، وعلى صفحات مكتوبة ومنشورة، فانت أول الناس، أحقهم، بمناقشة كل جديد يصدر له، ومن هذا المنطلق بالذات.

والواقع، ان اميل حبيبي، حين فاجأنا بـ«سداسية الأيام الستة»، وفاجأنا ثانية، حدَّ الاذهال بـ«الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» كان مدهشا، وكان صارخا، وتساءلنا: أيجوز أن يكون بيننا كاتب على هذا القدر من الابداع ونحن نجهل حتى اسمه؟!

ووصل الينا اميل حبيبي، قرأناه، وعيناه، ناقشناه، وذهب أوانُ الصدمة الاولى، وها نحن مطالبون اليوم، بالتعامل معه، بأناة ودقة، ولكن بموضوعية أيضا، لاننا نحرص على ذاك الطابع في الارض المحتلة، لا يتزحزح، ويصر على العطاء، برغم كل شيء، ولاننا، وهو معنا في هذا الأمر، ولا ريب، ضد الطوطمية، وازجاء وقود الكلم دون طائل، ودون روية أو تدقيق، نسمح لانفسنا أن ندقق، وكثيرا، في كل ما يصدر له.

حين ظهرت السداسية، اختلف حولها النقاد، فاصر بعضهم على انها مجموعة قصص قصيرة، وأصر البعض الآخر على انها رواية، بينما قال نفر ثالث انها مجرد لوحات لفنية، شدها الكاتب بخيط واحد محكم.

ولم يكن نصيب المتشائل، باقل من نصيب السداسية، اختلافا في الرأي، وتعددا في التخريجات.

وكذلك هم اليوم، معشر النقدة، وما أقل النقاد فيما بينهم، تعلو صرختهم حول «لكع لكع»، فهذا يعتبره مسرحية، وذاك رواية وآخر مجموعة قصص، ويذهب بعضهم، حد استحضار معلوماته حول المسرح: مواصفاته وتقنيته وكيف يجب ان يكون، ليصر جازما، في النهاية، على ان العمل ليس مسرحيا. مع ان الرجل، اميل حبيبي، كفاهم «شر القتال» بقوله: إنها حكايات مسرحية... وكأنه قصد فعلاً، أن يحرجهم ليخرجهم، فيودي بهم إلى متاهات الارباك والاختلافات شتى... لكأنه مولع بقول المتنبي:

انـام ملء جفـوني عن شـواردهـا ويسـهـر الخلق جـرّاهـا ويختصـم

والكاتب منذ اعماله الاولى، وحتى «لكع» موضوعنا اليوم، اعتمد دائما، اللغة الشعرية الذكي، حدَّ